من أسرار الصوت اللغوي

بقلم:
د. سلمان بن سالم السحيمي

سأتحدث عن بعض القضايا اللغوية التي تحتاج إلى توضيح، والتي يعتمد في تعليلها على شيء من اسرار الصوت اللغوي مثل: هل المد حرف ام حركة؟ لِمَ لا يبدأ بحركة؟ لم لا تتحرك الحركة؟ هل يلتقي مدان في اللغة؟، هل الاصوات يدخل بعضها في بعض أم لا؟ هل الاصوات يتولد بعضها من بعض ام لا؟ ما حقيقة التشديد؟ وهل تشدّد الحركات؟

فأقول إن اللغة العربية تمتاز بمرونة قل ان توجد في غيرها من اللغات، وذلك في دقة دلالاتها ووضوح معانيها، يعرف ذلك من درس علم اللغة المقارن، او من اطلع على شيء من أسرار هذه اللغة.

والتفاضل بين اللغات تفاضل نسبي، فافضل اللغات هي اللغات التي نزلت بها الكتب السماوية، وافضل اللغات التي نزلت بها الكتب السماوية هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم.

وفي نظري ان كثيراً من المسائل المتكلفة او المضطربة او المتناقضة ليست من اللغة، وانما هي من الآراء التي لا تستند إلى منقول او معقول وان اللغة مبرأة من هذه المسائل، وسنبين ذلك من خلال ربطنا بين اللغة العربية وقواعدها وبين الصوت اللغوي، لأن الصوت اللغوي هو نتاج جهاز النطق عند الاسنان، وما لا يقع في جهاز النطق لا يقع في اللغة، لأن اللغة محسوسة بحاستي السمع واللسان، فلا تحتاج إلى تصور، وانما ينظر في جهاز النطق فما يقع في جهاز النطق يقع في اللغة فنحاول ان نجد له تعليلاً وما لا يقع في جهاز النطق لا يقع في اللغة، اي لغة، لأن جهاز النطق لا يختلف من انسان إلى انسان، فالقواعد او النظريات التي لا يمكن النطق بها لا تسمى لغة، ولذلك سننظر كيف يحدث الصوت اللغوي؟ الصوت يحدث من احتكاك جسم بآخر فيكون الاهتزاز او الذبذبة التي تتدافع من خلال الوسط الناقل لذلك الصوت حتى يصل إلى اذن السامع.

والصوت اللغوي يتكون عن طريق هواء الزفير، وذلك عندما يضغط الحجاب الحاجز على القفص الصدري فإن الهواء الموجود في الرئتين يمر عبر القصبة الهوائية حتى يصل إلى الحنجرة وهنا يمر من خلال الوترين الصوتيين فيحصل الاهتزاز الذي يحدث الصوت. فإن كان الاهتزاز شديداً فالصوت مجهور وان كان الاهتزاز خفيفاً فالصوت مهموس، وفي اثناء مرور الهواء من الحنجرة حتى يخرج من الفم او الأنف، يعترض مجراه غلق او تضييق، ونتيجة للغلق او التضييق بين اعضاء جهاز النطق يتحدد نوع الصوت.

فالصوت يحدث نتيجة لالتقاء او تقارب عضوين من اعضاء جهاز النطق، واعضاء جهاز النطق التي يتكون بالتقائها او تقاربها الصوت اللغوي هي: الحنجرة، التوتران الصوتيان، الحلق، الحنك الأعلى، اللسان، اللهاة، اللثة، الاسنان، الشفتان.

فالاصوات الصامتة او الحروف تتكون عندما يلتقي عضوان من إعضاء جهاز النطق التقاء محكماً يمنع مرور الهواء كالباء والتاء في نحو (هبْ) و(حتْ) وهو ما يعرف بالاصوات الشديدة او الانفجارية او يلتقي العضوان التقاء لا يمنع مرور الهواء كالسين والزاي في نحو (مسْ) و(هزْ) وهو ما يعرف بالحروف (الأصوات) الرخوة او الاحتكاكية. واما الأصوات الصائتة او الحركات فتتكون عندما يتقارب عضوان من إعضاء جهاز النطق وهذا التقارب على درجات مختلفة بحسب نوع الحركة وطولها مثل الضمة والكسرة والفتحة والإمالة. اي ان مجرى الهواء مع الحركات لا يعترضه اي عائق. فاللغة تتكون من اصوات او اللغة (اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم كما قال ابن جني، الخصائص ٣٣/١ والكلام يتألف من اصوات متتابعة قال الاخفش (اعلم ان الكلام اصوات مؤلفة فاقل الاصوات في تأليفها الحركة واطول منها الحرف الساكن لأن الحركة لا تكون الا في حرف ولا تكون حرفاً، والمتحرك اطول من الساكن لأنه حرف وحركة وقولهم ساكن اي لاحركة فيه (العروض ص١٣٣ .

فالكلام يتألف من اصوات متتالية او متتابعة، هذه الاصوات المتتالية هي الصوامت والصوائت او الحروف والحركات، فلا يتوالى في الكلام صائتان (حركتان) أو صامتان (حرفان) من جنس واحد وعلى هذا فليس السكون من مكونات الكلام فلا يقال الكلام يتألف من الحروف والحركات والسكنات لأن السكون ليس صوتاً ينطق او يسمع. وحقيقة السكون أنها علامة في الكتابة على عدم وجود الحركة بعد الحرف غير ان المتأمل في كتب النحو والصرف يجد ان السكون تعد من اجزاء الكلام وانها علامة من علامات البناء والاعراب كقولهم انواع البناء اربعة: احدها السكون وهو الاصل ويسمى وقفاً ولخفته دخل في الكلم الثلاث نحو هل، وقم، ولم، والثاني الفتح وهو اقرب الحركات إلى السكون(اوضح المسالك ٣٨/١، فالسكون علامة في الكتابة مثل نقط التاء والشين والغين فهذه النقط لا تنطق وانما تفرق بين اشكال الحروف (دراسة صوتية تحليلية لحرف الاعراب وحركته ص١٥).

فلا ينبغي المقارنة بين عدم الحركة فيقال لعدم الحركة انه خفيف وان الفتح اقرب الى عدم الحركة لأن عدم الحركة يعني انها ليست موجودة في النطق. وكذلك في الاعراب كقولهم: الفعل المضارع يجزم بالسكون في نحو الرجل لم يخرج. والحقيقة ان المضارع مجزوم بحذف الضمة فتكون على تلك قاعدة الجزم مطردة في نحو (الرجل لم يخرج، والرجلان لم يخرجا، والرجال لم يخرجوا، ففي المثال الاول المضارع مجزوم بحذف الضمة وفي المثالين الثاني والثالث مجزوم بحذف النون فالسكون ليست صوتاً لأن من طبيعة الصوت انه يمد ويقصر ويستبدل بغيره ويحذف فهل ينطبق هذا على السكون؟ هل تمد السكون او تقصر؟ هل تحذف او تستبدل بغيرها؟

هل المد حرف ام حركة؟

هذه المسألة خلافية، فنجد سيبويه والمبرد يشبهان المد بالحركة ومن العلماء من نص على ان الممدود حركات مشبعة كابن جني في : سر صناعة الاعراب ص١/٣٣ والسهيلي في نتائج الفكر ص ٨٣-٨٤، والخوارزمي في مفتاح العلوم ص٣١، وابن سيناء في اسباب حدوث الحروف ص١٧، والفخر الرازي في التفسير الكبير ١/٣٨ والزجاج، وهؤلاء هم الذين تناولوا جهاز النطق بالدراسة، وقبل الحكم على المد بأنه حرف او حركة، ننظر في ضوابط الحرف وضوابط الحركة فضوابط الحرف هي:

١ - أنه يبدأ به مثل الكاف من كتب.

٢ - انه يتحرك مثل التاء من كتب.

٣ - انه قد يوجد ولا حركة معه مثل الباء من كتاب في حالة الوقف او الباء من اكتب.

وضوابط الحركة هي:

١ - لا يبدأ بها لأنها لا تقع اولاً.

٢ - انها لا تتحرك قال ابن جني (ومعلوم ان الحركات لضعفها لا تحمل الحركات (الخصائص ٢/٢٩٤ وقال ايضاً لأنه لا يكون الحرف متحركاً بحركتين في وقت واحد (المنصف ١/٣٤٣، لأن معنى تحريك الحركة هو ان تأتي بعدها بحركة.

٣ - الحركة لا توجد الا بعد وجود الحرف قال ابن جني (وكان الحرف قد يوجد ولا حركة معه، وكانت الحركة لا توجد الا عند وجود الحرف) سر صناعة الاعراب ١/٣٢ .

ثم نجد ان الحرف الساكن يتحرك والمتحرك يسكن، ولذلك عند تطبيق هذه الضوابط نجد ان المد حركة وليس حرفا لأنه صائت وكل صائت حركة لأن الحرف يقع اولا والحركة تقع ثانيا، فنجد المدود عند تطبيق القواعد لا ينطبق عليها ما ينطبق على الحروف فتستثنى دائما من القاعدة كما في التصغير والتكسير في نحو مصباح وعصفور، وفي النسب الى المقصور والمنقوص في نحو الفتى والقاضي وفي اعراب الافعال والاسماء التى في آخرها مد مثل يدعو ويرمي ويخشى، والهدى والرامي، وهو ما يعرف بالاعراب التقديري.

لان الحركات صوائت والصوائت مكانها بعد الحرف او الصوامت، فالاصوات قسمان عند تأليفها، الاول الحرف أو الصامت والثاني الحركة أو الصائت، فموقع الحركة دائما بعد الحرف ولذلك نعرف العلة في كون (الألف لا تزاد أولا) وانه ليس بسبب (أنها لا تكون الا ساكنة ولا يبدأ بساكن) المقتضب ١/٥٦، فالعلة في كون الألف لا تزاد اولا، لأنها حركة أي فتحة مشبعة وليس كونها ساكنة لان السكون لا يوصف به الا الحرف لأنه يتحرك أي تتلوه حركة ويسكن أي لا تتلوه حركة، اما الالف فلا تتحرك حتى يقال سكنت.

وكذلك نعرف العلة في كون (الألف لا تدخلها الحركات ولا تكون اصلا) المقتضب ١/٥٦، فكون الألف لا تدخلها الحركات فلأنها حركة أي فتحة مشبعة واما كونها لا تكون اصلا فلأن موقعها بعد الاصل فإن كان الاصل فاء فالألف تقع بعد الفاء مثل ضارب، وان كان الاصل عينا فالالف تقع بعد العين مثل عصافير، وان كان الاصل لاما فالألف تقع بعد اللام مثل حبلى، فالعلة في كونها لا تقع اصلا فلأنها حركة والاصل حرف. وهذه العلة ليست خاصة بالالف بل هي في كل المدود فالمد لا يكون اصلا لانه لا يقع موقع الاصل وكذلك لا يكون بدلا من اصل لان شرط البدل ان يقع موقع المبدل منه والمد لا يقع موقع الحرف. فالاصوات قسمان حروف وحركات فالحروف لا تقع موقع الحركات والحركات لا تقع موقع الحروف وكل قاعدة تقول بان الحرف يقع موقع الحركة او الحركة تقع موقع الحرف فهي غير واقعة في اللغة لان هذه العلة علة صوتية تتعلق بجهاز النطق والعلل الصوتية المتعلقة بجهاز النطق لا تختلف من لغة الى لغة.

هل يلتقي في اللغة مدّان

اذا عرفنا ان المد حركة فإنه لا يلتقي في اللغة مدان، لان اللغة لا يتوالى فيها صائتان لان الصائت لابد له من حرف او صامت يعتمد عليه ولأن جهاز النطق لا يوجد فيه مخرجان للصوت الواحد، فلا يوجد فيه الا مخرج واحد للصوت الواحد، وهنا نورد قصة الرجل الذي جاء الى ابي اسحاق الزجاج وأراد ان يجمع بين ألفين، اذ اوردها السيوطي تحت عنوان (لا تجتمع الفان) اذ قال: وجاء رجل الى أبي اسحاق الزجاج فقال له زعمتم انه لا يمكن الجمع بين ألفين، فقال نعم، فقال: (أي الرجل) انا اجمع.فقال (ما) ومد صوته فقال له حسبك ولو مددت صوتك من غدوة الى العصر لم تكن الا ألفاً واحدة) الاشباه والنظائر ٣١٦/١.

لانه سوف يمد صوته حتى ينتهي الهواء الموجود في الرئتين فينقطع الصوت، وهذا الأمر ينطبق على جميع المدود لأن المد يحتاج الى حرف سابق فلو اردنا ان نأتي بمد واحد نحتاج الى حرف واحد وان اردنا ان نأتي لمدين فنحتاج الى حرفين وان اردنا ان نأتي بثلاثة مدود نحتاج الى ثلاثة احرف فبعدد المدود نحتاج الى حروف لأنه كل مد لابد له من حرف يتقدمه أو يسبقه. واذا لم نستطع ان نأتي بفتحة بعد الألف في نحو: رأيت الفتى، فكيف نأتي بالألف بعد الألف، والألف فتحة كبرى فاذا لم نستطع ان نأتي بفتحة صغرى فكيف نستطيع ان نأتي بفتحة كبرى. ونأخذ من هذا ان كل قاعدة تقول يجتمع في اللغة مدان ان هذه القاعدة ليست واقعة في اللغة ولا نستطيع ان نأتي بمثال لها من الاستعمال اللغوي وفي هذا رد على ما يقوله بعض الصرفيين في نحو (حمراء) وهذا الأمر ليس خاصا باللغة العربية بل هو علة صوتية لا تختلف من لغة الى لغة لأن المانع من الجمع بين مدين هو جهاز النطق وجهاز النطق لا يختلف من انسان الى آخر فلا يمكن الجمع بين المدين أو الحركتين في أي لغة.

هل الاصوات يدخل بعضها في بعض أم لا؟ وهل الاصوات يتولد بعضها من بعض ام لا؟ وما حقيقة التشديد؟

الاصوات لا يدخل بعضها في بعض لأن لكل صوت مخرجا ولأن جهاز النطق لا يجمع بين صوتين في مخرج واحد. والاصوات لا يتولد بعضها من بعض لأن مخرج الصوت لا يسع صوتين في آن واحد ولأن الصوت الواحد لا ينقسم بين مخرجين. والتشديد هو اطالة زمن النطق بالصوت، أو اطالة زمن التقاء او تقارب

العضوين المكونين للصوت، فإن كان الصوت شديدا اطلنا زمن العضوين المكونين له، مثل الباء فإن تشديدها يكون باطالة زمن التقاء الشفتين مثل هبّ، وان كان الصوت رخوا اطلنا زمن الاحتكاك بين العضوين المكونين له، مثل الزاي فإن تشديدها يكون باطالة زمن الالتماس او الاحتكاك بين مقدمة اللسان وبين اللثة والاسنان، مثل (هز) وان كان الصوت منفتحا اطلنا زمن تقارب العضوين المكونين له مثل الحركات الضمة والكسرة والفتحة. فالتشديد هو اطالة زمن النطق بالصوت وليس ادخال حرف في حرف قال رضي الدين الاستراباذي والذي ارى انه ليس الادغام الاتيان بحرفين بل هو الاتيان بحرف واحد مع اعتماد على مخرجه قوي سواء كان ذلك الحرف متحركا نحو يمد زيد أو ساكنا نحو يمد وقفا (شرح الشافية ٢٥٣/٣).

وقال صاحب مراح الأرواح (الادغام الباث الحرف في مخرجه مقدار الباث حرفين) مجموعة الصرف، ص ٢٦، وقال شراح الشافية ان الحرف المشدد (زمانه اطول من زمان الحرف الواحد واقصر من زمان الحرفين) مجموعة الشافية ٢٣/٢ وقال القيسي عند حديثه عن الياءات المشددة (ان يكون الياء المشددة اصلها في الوزن حرف واحد مشدد لا حرفان) وقال سيبويه (الألف لا تدغم في الالف) الكتاب ٤٤٦/٤، فاللغة يقع فيها التشديد، وكل الاصوات تكون خفيفة وشديدة وزمانها يكون قصيرا وطويلا، فكل ما ينطق به يكون زمانه قصيرا أو طويلا، فلو كانت الاصوات يدخل بعضها في بعض لدخل اكثر من صوت في صوت، والذي يقول بأن الاصوات يدخل بعضها في بعض يعترض عليه بما يلي: لم لا تدخل الحركات في الحركات؟ ولم لا تدخل الحركات في الحروف؟ ولم لا تدخل الحروف في الحركات؟

فكل صوت له طرفان قصير وطويل، فالحركة تشديدها اطالة زمن النطق بها واذا اطيل زمن النطق بها تكون مدا، فالمدود حركات مشبعة أو مشددة. اما نحو من يجمع فانها في اللفظ على هذه الصور ميجمع. فإن كان الاصوات يدخل بعضها في بعض فنقول دخلت النون في الياء ولا نحتاج الى المتماثلين، وان كانت الاصوات لا يدخل بعضها في بعض فتكون النون ساقطة وشددت الياء عوضا عنها لأن اللغة فيها نوع من التوازن اذا سقط صوت زيد في صوت آخر.

(*) عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية
بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

الأربعاء
مقال
عدد ١٤٥١٨ في ١٩/١١/١٤٢٢هـ

من أسرار الصوت اللغوي

بقلم:
د. سلمان بن سالم السحيمي

سأتحدث عن بعض القضايا اللغوية التي تحتاج إلى توضيح، والتي يعتمد في تعليلها على شيء من اسرار الصوت اللغوي مثل: هل المد حرف ام حركة؟ لِمَ لا يبدأ بحركة؟ لم لا تتحرك الحركة؟ هل يلتقي مدان في اللغة؟، هل الاصوات يدخل بعضها في بعض أم لا؟ هل الاصوات يتولد بعضها من بعض ام لا؟ ما حقيقة التشديد؟ وهل تشدد الحركات؟

فأقول إن اللغة العربية تمتاز بمرونة قل ان توجد في غيرها من اللغات، وذلك في دقة دلالاتها ووضوح معانيها، يعرف ذلك من درس علم اللغة المقارن، او من اطلع على شيء من أسرار هذه اللغة.

والتفاضل بين اللغات تفاضل نسبي، فأفضل اللغات هي اللغات التي نزلت بها الكتب السماوية، وافضل اللغات التي نزلت بها الكتب السماوية هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم.

وفي نظري ان كثيراً من المسائل المتكلفة او المضطربة او المتناقضة ليست من اللغة، وانما هي من الآراء التي لا تستند إلى منقول او معقول وان اللغة مبرأة من هذه المسائل، وسنبين ذلك من خلال ربطنا بين اللغة العربية وقواعدها وبين الصوت اللغوي، لأن الصوت اللغوي هو نتاج جهاز النطق عند الانسان، وما لا يقع في جهاز النطق لا يقع في اللغة، لأن اللغة محسوسة بحاستي السمع واللسان، فلا تحتاج إلى تصور، وانما ينظر في جهاز النطق فما يقع في جهاز النطق يقع في اللغة فنحاول ان نجد له تعليلاً وما لا يقع في جهاز النطق لا يقع في اللغة، اي لغة، لأن جهاز النطق لا يختلف من انسان إلى انسان، فالقواعد او النظريات التي لا يمكن النطق بها لا تسمى لغة، ولذلك سننظر كيف يحدث الصوت اللغوي؟ الصوت يحدث من احتكاك جسم بأخر فيكون الاهتزاز او الذبذبة التي تتدافع من خلال الوسط الناقل لذلك الصوت حتى يصل إلى اذن السامع.

والصوت اللغوي يتكون عن طريق هواء الزفير، وذلك عندما يضغط الحجاب الحاجز على القفص الصدري فإن الهواء الموجود في الرئتين يمر عبر القصبة الهوائية حتى يصل إلى الحنجرة وهنا يمر من خلال الوترين الصوتيين فيحصل الاهتزاز الذي يحدث الصوت. فإن كان الاهتزاز شديداً فالصوت مجهور وان كان الاهتزاز خفيفاً فالصوت مهموس، وفي اثناء مرور الهواء من الحنجرة حتى يخرج من الفم او الأنف، يعترض مجراه غلق او تضييق، ونتيجة للغلق او التضييق بين اعضاء جهاز النطق

فلا ينبغي المقارنة بين عدم الحركة فيقال لعدم الحركة انه خفيف وان الفتح اقرب الى عدم الحركة لأن عدم الحركة يعني انها ليست موجودة في النطق. وكذلك في الاعراب كقولهم: الفعل المضارع يجزم بالسكون في نحو الرجل لم يخرج. والحقيقة ان المضارع مجزوم بحذف الضمة فتكون على تلك قاعدة الجزم مطردة في نحو (الرجل لم يخرج، والرجلان لم يخرجا، والرجال لم يخرجوا، ففي المثال الاول المضارع مجزوم بحذف الضمة وفي المثالين الثاني والثالث مجزوم بحذف النون فالسكون ليست صوتاً لأن من طبيعة الصوت انه يمد ويقصر ويستبدل بغيره ويحذف فهل ينطبق هذا على السكون؟ هل تمد السكون او تقصر؟ هل تحذف او تستبدل بغيرها؟

هل المد حرف ام حركة؟

هذه المسألة خلافية، فنجد سيبويه والمبرد يشبهان المد بالحركة ومن العلماء من نص على ان الممدود حركات مشبعة كابن جني في: سر صناعة الاعراب ص٣٣/١ والسهيلي في نتائج الفكر ص ٨٣-٨٤، والخوارزمي في مفتاح العلوم ص٣١، وابن سيناء في اسباب حدوث الحروف ص١٧، والفخر الرازي في التفسير الكبير ٣٨/١ والزجاج، وهؤلاء هم الذين تناولوا جهاز النطق بالدراسة، وقبل الحكم على المد بأنه حرف او حركة، ننظر في ضوابط الحرف وضوابط الحركة فضوابط الحرف هي:

١ - أنه يبدأ به مثل الكاف من كتب.

٢ - انه يتحرك مثل التاء من كتب.

٣ - انه قد يوجد ولا حركة معه مثل الباء من كتاب في حالة الوقف او الباء من اكتب.

وضوابط الحركة هي:

١ - لا يبدأ بها لأنها لا تقع اولاً.

٢ - انها لا تتحرك قال ابن جني (ومعلوم ان الحركات لضعفها لا تحمل الحركات (الخصائص ٢٩٤/٢ وقال ايضاً لأنه لا يكون الحرف متحركاً بحركتين في وقت واحد (المنصف ٣٤٣/١، لأن معنى تحريك الحركة هو ان تأتي بعدها بحركة.

هل يلتقي في اللغة مدان

اذا عرفنا ان المد حركة فإنه لا يلتقي في اللغة مدان، لان اللغة لا يتوالى فيها صائتان لان الصائت لابد له من حرف او صامت يعتمد عليه ولأن جهاز النطق لا يوجد فيه مخرجان للصوت الواحد، فلا يوجد فيه الا مخرج واحد للصوت الواحد، وهنا نورد قصة الرجل الذي جاء الى ابي اسحاق الزجاج وأراد ان يجمع بين ألفين، اذ اوردها السيوطي تحت عنوان (لا تجتمع الفان) اذ قال: وجاء رجل الى أبي اسحاق الزجاج فقال له زعمتم انه لا يمكن الجمع بين ألفين، فقال نعم، فقال: (أي الرجل) انا اجمع فقال (ما) ومد صوته فقال له حسبك ولو مددت صوتك من غدوة الى العصر لم تكن الا ألفاً واحدة) الاشباه والنظائر ٣١٦/١.

لانه سوف يمد صوته حتى ينتهي الهواء الموجود في الرئتين فينقطع الصوت، وهذا الأمر ينطبق على جميع المدود لأن المد يحتاج الى حرف سابق فلو اردنا ان نأتي بمد واحد نحتاج الى حرف واحد وان اردنا ان نأتي لمدين فنحتاج الى حرفين وان اردنا ان نأتي بثلاثة مدود نحتاج الى ثلاثة احرف فبعدد المدود نحتاج الى حروف لأنه كل مد لابد له من حرف يتقدمه أو يسبقه. واذا لم نستطع ان نأتي بفتحة بعد الألف في نحو: رأيت الفتى، فكيف نأتي بالألف بعد الألف، والألف فتحة كبرى فاذا لم نستطع ان نأتي بفتحة صغرى لكيف نستطيع ان نأتي بفتحة كبرى. ونأخذ من هذا ان كل قاعدة تقول يجتمع في اللغة مدان ان هذه القاعدة ليست واقعة في اللغة ولا نستطيع ان نأتي بمثال لها من الاستعمال اللغوي وفي هذا رد على ما يقوله بعض الصرفيين في نحو (حمراء) وهذا الأمر ليس خاصا باللغة العربية بل هو علة صوتية لا تختلف من لغة الى لغة لأن المانع من الجمع بين مدين هو جهاز النطق وجهاز النطق لا يختلف من انسان الى آخر فلا يمكن الجمع بين المدين أو الحركتين في أي لغة.

هل الاصوات يدخل بعضها في بعض أم لا؟ وهل الاصوات يتولد بعضها من بعض ام لا؟ وما حقيقة التشديد؟

الاصوات لا يدخل بعضها في بعض لأن لكل صوت مخرجا ولأن جهاز النطق لا يجمع بين صوتين في مخرج واحد. والاصوات لا يتولد بعضها من بعض لأن مخرج الصوت لا يسع صوتين في أن واحد ولأن الصوت الواحد لا ينقسم بين مخرجين. والتشديد هو اطالة زمن النطق بالصوت، أو اطالة زمن التقاء او تقارب

يتحدد نوع الصوت.

فالصوت يحدث نتيجة لالتقاء او تقارب عضوين من اعضاء جهاز النطق، واعضاء جهاز النطق التي يتكون بالتقائها او تقاربها الصوت اللغوي هي: الحنجرة، الوتران الصوتيان، الحلق، الحنك الأعلى، اللسان، اللهاة، اللثة، الاسنان، الشفتان.

فالاصوات الصامتة او الحروف تتكون عندما يلتقي عضوان من اعضاء جهاز النطق اللقاء محكماً يمنع مرور الهواء كالباء والتاء في نحو (هبّ) و(حتّ) وهو ما يعرف بالاصوات الشديدة او الانفجارية او يلتقي العضوان التقاء لا يمنع مرور الهواء كالسين والزاي في نحو (مسّ) و(هزّ) وهو ما يعرف بالحروف (الأصوات) الرخوة او الاحتكاكية. واما الأصوات الصائتة او الحركات فتتكون عندما يتقارب عضوان من أعضاء جهاز النطق وهذا التقارب على درجات مختلفة بحسب نوع الحركة وطولها مثل الضمة والكسرة والفتحة والإمالة. اي ان مجرى الهواء مع الحركات لا يعترضه اي عائق. فاللغة تتكون من اصوات او اللغة (اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم كما قال ابن جني، الخصائص ٣٣/١ والكلام يتألف من اصوات متتابعة قال الاخفش (اعلم ان الكلام اصوات مؤلفة فاقل الاصوات في تأليفها الحركة واطول منها الحرف الساكن لأن الحركة لا تكون الا في حرف ولا تكون حرفاً، والمتحرك اطول من الساكن لأنه حرف وحركة وقولهم ساكن اي لاحركة فيه (العروض ص١٣٣ .

فالكلام يتألف من اصوات متتالية او متتابعة، هذه الاصوات المتتالية هي الصوامت والصوائت او الحروف والحركات، فلا يتوالى في الكلام صائتان (حركتان) أو صامتان (حرفان) من جنس واحد وعلى هذا فليس السكون من مكونات الكلام فلا يقال الكلام يتألف من الحروف والحركات والسكنات لأن السكون ليس صوتاً ينطق او يسمع. وحقيقة السكون أنها علامة في الكتابة على عدم وجود الحركة بعد الحرف غير ان المتأمل في كتب النحو والصرف يجد ان السكون تعد من اجزاء الكلام وانها علامة من علامات البناء والاعراب كقولهم انواع البناء اربعة: احدها السكون وهو الاصل ويسمى وقفاً ولخفته دخل في الكلم الثلاث نحو هل، وقم، ولم، والثاني الفتح وهو اقرب الحركات إلى السكون(اوضح المسالك ٣٨/١، فالسكون علامة في الكتابة مثل نقط التاء والشين والغين فهذه النقط لا تنطق وانما تفرق بين اشكال الحروف (دراسة صوتية تحليلية لحرف الاعراب وحركته ص١٥).

٣ - الحركة لا توجد الا بعد وجود الحرف قال ابن جني (وكان الحرف قد يوجد ولا حركة معه، وكانت الحركة لا توجد الا عند وجود الحرف) سر صناعة الاعراب ٣٢/١ .

ثم نجد ان الحرف الساكن يتحرك والمتحرك يسكن، ولذلك عند تطبيق هذه الضوابط نجد ان المد حركة وليس حرفا لأنه صائت وكل صائت حركة لأن الحرف يقع اولا والحركة تقع ثانيا، فنجد المدود عند تطبيق القواعد لا ينطبق عليها ما ينطبق على الحروف فتستثنى دائما من القاعدة كما في التصغير والتكسير في نحو مصباح وعصفور، وفي النسب الى المقصور والمنقوص في نحو الفتى والقاضي وفي اعراب الافعال والاسماء التي في آخرها مد مثل يدعو ويرمي ويخشى، والهدى والرامي، وهو ما يعرف بالاعراب التقديري.

لان الحركات صوائت والصوائت مكانها بعد الحرف او الصوامت، فالاصوات قسمان عند تأليفها، الاول الحرف أو الصامت والثاني الحركة أو الصائت، فموقع الحركة دائما بعد الحرف ولذلك نعرف العلة في كون (الألف لا تزاد أولا) وانه ليس بسبب (أنها لا تكون الا ساكنة ولا يبدأ بساكن) المقتضب ٥٦/١، فالعلة في كون الألف لا تزاد اولا، لأنها حركة أي فتحة مشبعة وليس كونها ساكنة لان السكون لا يوصف به الا الحرف لأنه يتحرك أي تتلوه حركة ويسكن أي لا تتلوه حركة، اما الالف فلا تتحرك حتى يقال سكنت.

وكذلك نعرف العلة في كون (الألف لا تدخلها الحركات ولا تكون اصلا) المقتضب ٥٦/١، فكون الألف لا تدخلها الحركات فلأنها حركة أي فتحة مشبعة واما كونها لا تكون اصلا فلأن موقعها بعد الاصل فإن كان الاصل فاء فالألف تقع بعد الفاء مثل ضارب، وان كان الاصل عينا فالالف تقع بعد العين مثل عصافير، وان كان الاصل لاما فالألف تقع بعد اللام مثل حبلى، فالعلة في كونها لا تقع اصلا فلأنها حركة والاصل حرف. وهذه العلة ليست خاصة بالالف بل هي في كل المدود فالمد لا يكون اصلا لانه لا يقع موقع الاصل وكذلك لا يكون بدلا من اصل لان شرط البدل ان يقع موقع المبدل منه والمد لا يقع موقع الحرف. فالاصوات قسمان حروف وحركات فالحروف لا تقع موقع الحركات والحركات لا تقع موقع الحروف وكل قاعدة تقول بان الحرف يقع موقع الحركة او الحركة تقع موقع الحرف فهي غير واقعة في اللغة لان هذه العلة علة صوتية تتعلق بجهاز النطق والعلل الصوتية المتعلقة بجهاز النطق لا تختلف من لغة الى لغة.

العضوين المكونين للصوت، فإن كان الصوت شديدا اطلنا زمن العضوين المكونين له، مثل الباء فإن تشديدها يكون باطالة زمن التقاء الشفتين مثل هبّ، وان كان الصوت رخوا اطلنا زمن الاحتكاك بين العضوين المكونين له، مثل الزاي فإن تشديدها يكون باطالة زمن الالتماس او الاحتكاك بين مقدمة اللسان وبين اللثة والاسنان، مثل (هزّ) وان كان الصوت متفتحا اطلنا زمن تقارب العضوين المكونين له مثل الحركات الضمة والكسرة والفتحة. فالتشديد هو اطالة زمن النطق بالصوت وليس ادخال حرف في حرف قال رضي الدين الاستراباذي والذي ارى انه ليس الادغام الاتيان بحرفين بل هو الاتيان بحرف واحد مع اعتماد على مخرجه قوي سواء كان ذلك الحرف متحركا نحو يمد زيد أو ساكنا نحو يمد وقفا (شرح الشافية ٢٥٣/٣).

وقال صاحب مراح الأرواح (الادغام الباث الحرف في مخرجه مقدار الباث حرفين) مجموعة الصرف، ص ٢٦، وقال شراح الشافية ان الحرف المشدد (زمانه اطول من زمان الحرف الواحد واقصر من زمان الحرفين) مجموعة الشافية ٢٣/٢ وقال القيسي عند حديثه عن الياءات المشددة (ان يكون الياء المشددة اصلها في الوزن حرف واحد مشدد لا حرفان) وقال سيبويه (الألف لا تدغم في الالف) الكتاب ٤٤٦/٤، فاللغة يقع فيها التشديد، وكل الاصوات تكون خفيفة وشديدة وزمانها يكون قصيرا وطويلا، فكل ما ينطق به يكون زمانه قصيرا أو طويلا، فلو كانت الاصوات يدخل بعضها في بعض لدخل اكثر من صوت في صوت، والذي يقول بأن الاصوات يدخل بعضها في بعض يعترض عليه بما يلي: لم لا تدخل الحركات في الحركات؟ ولم لا تدخل الحركات في الحروف؟ ولم لا تدخل الحروف في الحركات؟

فكل صوت له طرفان قصير وطويل، فالحركة تشديدها اطالة زمن النطق بها واذا اطيل زمن النطق بها تكون مدا، فالمدود حركات مشبعة أو مشددة. اما نحو من يجمع فانها في اللفظ على هذه الصور ميجمع. فإن كان الاصوات يدخل بعضها في بعض فنقول دخلت النون في الياء ولا نحتاج الى المتماثلين، وان كانت الاصوات لا يدخل بعضها في بعض فتكون النون ساقطة وشددت الياء عوضا عنها لأن اللغة فيها نوع من التوازن اذا سقط صوت زيد في صوت آخر.

(*) عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية
بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة